

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

سسوسولوجيا الواقع الافتراضي

Sociology of the virtual world

Boutarfa Nawel

بوطرفة نوال

جامعة باجي مختار- عنابة.

nawel.boutarfa@univ-annaba.dz

تاريخ القبول 2021-09-29

تاريخ الاستلام 2020-10-19

ملخص:

يشكل الواقع الافتراضي أحد أبرز منتجات الموجة الثانية للحدثة. هذا الواقع الخفي، الخيالي، المتواري عن الأنظار، الذي بدأ يزحف على الواقع الفعلي. الواقع المادي المحسوس. ويحتل مساحة مهمة في حياة الفرد اليومية، ويطبغ العلاقات والمؤسسات الاجتماعية بطابعه، فبينما تشهد العلاقات والجماعات والمجتمعات الافتراضية نمواً وازدهاراً، تتراجع العلاقات الاجتماعية المباشرة وغير المباشرة للواقع الفعلي.

تستدعي هذه التحولات في شكل وطبيعة العلاقات، في الجماعات والبنى الاجتماعية تدخل علم الاجتماع بهدف مساءلة هذا الواقع الافتراضي الذي أنتجها وفهم آليات فعله وآثاره، غير أن هذه المهمة محفوفة بتحديات إبستمولوجية كثيرة، ليس فقط لحدثة الظاهرة وراهنيتها، وإنما بسبب مواصفات ظواهر الواقع الافتراضي، والتي تختلف في بعض مظاهرها عن الظاهرة الاجتماعية بمفهومها الكلاسيكي، وهو ما يطرح التساؤل حول قدرة علم الاجتماع على دراسة وتملك هذا الواقع، ومدى قابليته للدراسة السوسيولوجية.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع، الظاهرة الاجتماعية، الواقع الافتراضي.

Abstract :

Modernity, in its second wave, is marked by the birth of the virtual world.

This hidden and imaginary world has gained the upper hand over the real world by introducing important changes to its foundations, notably the decline of direct social relations in the face of the massive rise in relations and virtual groups.

These changes in the nature and the form of relations, groups and social structures, imply the intervention of sociology to question the virtual world and understand its mechanisms and its effects.

However, this mission faces many difficulties, not only due to the novelty of the virtual world, but also to the characteristics of its phenomena, which are different from those produced by the real world, which raises a question

about the ability of sociology to study such phenomena.

Keywords: Sociology, social phenomena, virtual world

يصعب التحكم فيها أو تحديد معالمها بدقة متناهية، وذلك بسبب مساءلتها، نقدها وتغييرها للمبادئ الأساسية والمؤسسة للبنى الاجتماعية، ثم إعادة صياغتها بما يتوافق وخصوصيات كل مرحلة.

. مقدمة :

أدت القطاعات المعرفية والاجتماعية التي أنتجتها الحدثة إلى الإلقاء بالمجتمع الغربي في سيرورة تحولات جذرية، مستمرة ولا نهائية.

الزائفة للعلاقات الإنسانية التي تحل محل العلاقات المباشرة هذه الأخيرة التي تعد في جوهرها أكثر ثراء من التفاعلات المتوسطة (غير المباشرة)²

ويعد " جون بودريارد" Jean Baudrillard من أبرز المنتقدين لهجمة الواقع الافتراضي وهيمنته على الواقع الفعلي، وقد أخذ منه التشاؤم مأخذاً لدرجة أنه أعلن موت الواقع وميلاد الواقع المفرط، واقع تنمحي فيه حدود التماس بين الافتراضي والمادي، ويتماهى فضاءهما، واقع أساسه الاصطناع الذي يختلف عن مفهوم الاخفاء هذا الأخير يعني "التظاهر بعدم امتلاك ما نملك، بينما الاصطناع هو التظاهر بامتلاك ما لا نملك"³، الفرق هنا يتأسس كما يشير " بودريارد" على مرجعيتي الحضور والغياب، إذ بينما يقوم الاخفاء على مرجعية الحضور بإخفائه حضور الشيء، يتأسس الاصطناع على الغياب بادعاء حضور شيء غير موجود، وأكثر من ذلك فالاصطناع يختلف عن التظاهر، إذ بينما يعد الثاني حالة مؤقتة سرعان ما تتجلى حقيقتها، يتأسس الأول ويعمق من وجوده متحدياً الواقع الفعلي، ويضرب " بودريارد" مثالا على ذلك " فمن يتظاهر بالمرض يمكنه ببساطة أن يستلقي على سريريه، ليوهم الآخرين بأنه مريض، أما من يصطنع المرض فإنه يعين في حاله بعض الأعراض، وبالتالي فإن التظاهر أو الاخفاء لا يصيب بشيء مبدأ الواقع، الفرق واضح دوما فهو محجوب ليس إلا، هذا بينما يطرح الاصطناع مسألة الفرق بين الحقيقي والمزيف، بين الواقع والخيال. وبما أن المصطنع يخلق أعراضاً حقيقية، لا نستطيع التعامل معه موضوعياً لا كمريض ولا كسليم"⁴.

يضيء الاصطناع إذن حالة من اللبس يصعب فيها التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف، ويؤسس للواقع المفرط أو " الفوق واقعي الذي غدى بمنأى عن الخيالي وعن كل تمييز بين الواقعي والخيالي، فلا يترك مجالاً لغير التكرار المداري للنماذج، ولغير التوليد المصطنع للفوارق"⁵. ويتمادى هذا الواقع الجديد في زحفه على الواقع الفعلي، وترسيخ وجوده من خلال محاولاته إخفاء موت الواقع الفعلي، وذلك بإبراز صور للافتراضي متناثرة هنا وهناك لنشر حالة من الوهم بوجود واقعين مختلفين أحدهما واقعي والأخر افتراضي، في حين أن الحقيقة ليست كذلك، لأن الافتراضي يواصل بسط نفوذه على الفعلي المتجه نحو الانكماش والانحسار والاختفاء، وعلى سبيل المثال " فإن

ففي مرحلتها الأولى أفرزت الحداثة تحولات عميقة، بتفجيرها للبنى التقليدية القائمة على القرابة ورابطة الدم، وأحلت محلها بنى حداثية محورها الأفراد الذين تجمعهم العلاقات التعاقدية، كما أعادت ترتيب الفاعلين الاجتماعيين المؤثرين، وإقرار موازين قوى جديدة وذلك بـ:

تحول الفرد إلى الوحدة الأساسية المكونة للمجتمع بدل الجماعة

تراجع المؤسسة الدينية إلى الفضاء الخاص.

صعود العقل كمصدر وحيد وشرعي للمعرفة

تمحور المجتمع حول مؤسسة السوق...إلخ.

أما في موجتها الثانية فقد نقلت الحداثة المجتمعات إلى معلم وجود جديد، وأنتجت عالماً آخر، تشكله علاقات من طبيعة أخرى، إنه الواقع الافتراضي الذي بدأ يزحف شيئاً فشيئاً ويمتد للواقع الفعلي، ويحتل مساحة مهمة في حياة الفرد اليومية، ويطبع العلاقات والمؤسسات الاجتماعية بطابعه " لدرجة أن صفة الافتراضي أصبحت مقترنة بمفاهيم مثل الثقافة، المجتمع، الجماعة، الديمقراطية، الجامعة، المؤسسة، الإقليم، الجغرافيا...إلخ"¹

ويطرح هذا الواقع الجديد رهانات كثيرة أمام علم الاجتماع، ليس فقط من حيث حداثة الظاهرة وراهنيتها، انتشارها المتسارع الذي أصبح خارجاً عن السيطرة، تهديدها للعلاقات والبنى الاجتماعية القائمة وانتاجها لأخرى على شاكلتها، وإنما يكمن الرهان الأساسي في تعامل علم الاجتماع مع هذه النتائج ومدى قدرته على مساءلة الظواهر الناتجة، بمواصفاتها الجديدة التي تختلف في بعض مظاهرها عن الظاهرة الاجتماعية بمفهومها الكلاسيكي، وهو ما يجعلها صعبة التملك والدراسة من منظور علم الاجتماع.

2. خصوصيات الواقع الافتراضي:

يتميز الواقع الافتراضي بمواصفات تطرح إشكالات إبستمولوجية أمام علم الاجتماع لمساقتها وتناولها بالدراسة، ومنها نذكر:

1.2 الطابع الافتراضي:

يوصف الواقع الافتراضي بأنه افتراضي أي غير فعلي، خفي ومتواري عن الأنظار، حيث تتأسس وتُنسج العلاقات وتنتهي في عالم غير مرئي وغير قابل للتجسد مادياً والقبض عليه واقعياً. بل إنه محاكاة اصطناعية للواقع الفعلي، وتهديداً له، ولهذا فإن العديد من المفكرين المنشغلين بقضايا المجتمع " يدعون إلى مقاومة هذه الحياة الافتراضية التي تعد ضارة بنسورها لصورها

في مقابل ذلك هناك تيار آخر يؤكد على خصوصية موضوع علم الاجتماع، وضرورة اتخاذه مسارا ابستمولوجيا ومنهجيا يتوافق مع خصوصياته، ويختلف عن ذلك الذي يميز علوم المادة والطبيعة، على غرار " التمييز الشهير الذي أقامه "ويلهلم ديلتي" Wilhelm Dilthey بين علوم الطبيعة وعلوم الثقافة التي ينتهي إليها علم الاجتماع، وهي تختلف اختلافا جذريا بسبب أن الوقائع التي تستهدفها حاملة لمعنى، وهو معنى الثقافة"¹⁰، وعلى هذا الأساس قام علم اجتماع الفهم على يد "ماكس فيبر" Max Weber مستهدفا دراسة المعنى المتضمن في الأفعال الاجتماعية.

غير أن الحديث عن المعاني والرموز كموضوع لعلم الاجتماع، يطرح التساؤل حول مدى واقعية هذا الموضوع، باعتبار أنها (المعاني والرموز) تكوينات ذهنية وغير مريئة. لكن الحقيقة أن هذه المعاني والرموز ماهي إلا نتاج تفاعلات إنسانية فعلية بين كيانات اجتماعية حقيقية في عالم فعلي قابل للملاحظة، للحصر وللمساءلة من طرف العقل.

كما أن هذه المعاني والرموز، ومن حيث أنها " وقائع اجتماعية متداخلة مع الظروف التاريخية"¹¹، تضي على العلوم الاجتماعية الطابع التاريخي . التأويلي كما يقول "هابرماس Habermas"، وهذا البعد التاريخي يشهد على واقعية موضوعها ويجعل منه . أي الموضوع . موضوعا للعلم بامتياز.

غير أن ظهور الواقع الافتراضي، والتأثيرات التي مارسها على الواقع الاجتماعي، يعيد النقاش لعلم الاجتماع حول واقعية ظواهر الواقع الجديد وقابليتها للدراسة، لأن أصلها الافتراضي الخالص سواء من حيث الفضاء الذي أنتجت فيه أو الفاعلين الذين ساهموا في انتاجها، يطرح إشكالا ابستمولوجيا حول كيفية انتاج معرفة علمية ذات قواعد وقوانين ثابتة . إلى حد ما . وتطبيق طرائق بحث وأدوات منهجية متفق عليها انطلاقا من موضوع لاواقعي، خيالي، هلامي ومتقلب.

وأكثر من ذلك، فإن أي انتاج معرفي ينطلق من الواقع الافتراضي يثير تساؤلات حول مدى مساهمته في تعزيز هذا الواقع، وتدعيم مبادئه على حساب الواقع الفعلي، وذلك من خلال إعادة انتاج صور الخيالي كواقع وللواقع كخيال، لأنه في ظل اكتساح الافتراضي للواقعي " لم يعد ممكنا الانطلاق من الواقعي لصنع اللاواقعي وصنع الخيالي انطلاقا من معطيات الواقع، بل ستصبح العملية معكوسة، بالأحرى ستخلق أوضاعا مفارقة ونماذج اصطناع، ومن ثم تبذل الجهود لصبغها بألوان الواقع المعيش، بإعادة انتاج الواقع كتخييل"¹²

تخييل "ديزني لاند" ليس حقيقيا ولا مزيفا، بل هو آلية تعمية غرضها إعادة توليد وهم الواقع"⁶.

إن الواقع الافتراضي، إذن، بطابعه الخيالي، غير المرئي اللابيني، يصبح عصيا على المساءلة العلمية السوسيولوجية من حيث أن علم الاجتماع يدرس ما هو كائن، ما حدث فعلا، إنه علم الحدث الاجتماعي، وليس علم المفترض أنه كان، أو أنه كائن، أو ما يجب أن يكون، بمعنى يدرس الواقع الفعلي.

وبشكل الواقع الفعلي كموضوع للمعرفة العلمية عنصرا جوهريا وحاسما في مسار بنائها، إذ يعتبر من أهم المبادئ التي تأسست عليها وأسس لتكوينها كنمط للمعرفة مختلف ومتميز عن الأنماط المعرفية الأخرى، وذلك باتخاذها لهذا الواقع موضوعا لها، راسمة حدودا تفصلها عن الميتافيزيقا والماورائيات والعالم المافوق واقعي. فموضوع المعرفة العلمية، إذن، هو الواقع الحسي الذي يمكن ملاحظته، حصره ومساءلته من طرف العقل، وتكمن واقعية هذا الواقع في كونها " واقعية عقلانية تعتبر أن خواص الموجود تنشأ وتركب بمنهج القياس والتجريب والملاحظة"⁷، إي بإدراك الواقع كوجود مستقل عن الذات، يتمظهر من خلال تطبيق الإجراءات القياسية عليه.

وحتى حين طورت المعرفة العلمية من مبادئها خصوصا بعد الثورة التي أحدثتها فيزياء الكم، التي أسست لعلم جديد، لم يعد موضوعه " معطى حسيا ندرکه بالملاحظة، بل هو من تركيب العقل وابداعه، أي تنظيم عقلائي للعلاقات التي تربط بين الظواهر"⁸، ظل الواقع الفعلي مكونا حاضرا وأساسيا لا غنى عنه، لأنه يشكل الأرضية التي ينطلق منها هذا الفعل البنائي الذهني لموضوع العلم، وذلك من خلال ما يسميه " باشلار " الحوار المستمر بين العقل والتجربة، بين الرياضيات والواقع"⁹

وقد واجه علم الاجتماع في بداية تأسيسه تحفظات ابستمولوجية بخصوص واقعية موضوعه (الواقع الاجتماعي)، لذلك جاهد الرواد الأوائل لإثبات استجابة هذا الحقل المعرفي الناشئ لشروط المعرفة العلمية، برغم خصوصية موضوعه. وذلك بالتأكيد على واقعيته، وقابليته للدراسة في استقلال عن ذات الباحث، ومن أبرز الاجتهادات دعوة " دور كايم " Durkheim " إلى دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء، والتخلص من الأحكام القيمية والأفكار المسبقة، بالإضافة محاولته إثبات قدرة دراسات علم الاجتماع على الخروج بنتائج مكتممة من خلال دراسته لظاهرة الانتحار.

2.2 المصدر غير الانساني الكامن خلف ظواهر الواقع الافتراضي:

إن الفاعلين الذين ينشطون في فضاء الواقع الافتراضي، يؤسسون لمواقف معينة، يخلقون تيارات وتقليعات جديدة للموضة ، ويؤثرون في الرأي العام، هؤلاء ليسوا كلهم بشرا بالضرورة، إذ يوجد ما يسمى "روبوتات الشبكة العالمية" ، وهي عبارة عن برمجيات، وحسابات يتم التحكم فيها بواسطة البرامج، تقوم بمهام متعددة على الانترنت مثل إنشاء التفاعل و إرسال التغريدات أو التعليق بغرض التأثير وتغليب وجهة نظر معينة أو التأثير على التصويت في مواضيع ما، نشر الأخبار والمنشورات، بالإضافة إلى فهرسة الصفحات، والتفاعل " مراقبة التفاعل، إجراء البحوث والاستقصاء، بل وحتى الاحتيال وسرقة البيانات المصرفية، وهي على نحو متزايد في تنفيذ مهامها مثل البشر، ففي عام 2016 كانت نسبة الروبوتات على الانترنت 51.8% مقابل 48.2% للبشر¹³.

وتعتبر هذه الروبوتات استكمالاً للثورة التكنولوجية التي شهدها المجتمع الغربي في القرنين العشرين والواحد والعشرين، وتندرج ضمن ما يطلق عليه ببرامج الذكاء الاصطناعي " القادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء، وتعني قدرة الحاسب على حل مسألة ما، أو اتخاذ قرار في موقف ما. بناء على وصف هذا الموقف . أن البرنامج نفسه يجد الطريقة التي تتبع لحل المسألة أو التوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التي غذي بها البرنامج"¹⁴

إن هذا الأصل "غير البشري" لبعض الفاعلين في الفضاء الافتراضي، يجعله أيضاً يتعد عن حقل المسألة من طرف علم الاجتماع، لأن هذا الأخير يتمحور حول الانسان وما ينتجه من أقوال وأفعال ضمن علاقات وجماعات اجتماعية.

2.3 سطحية العلاقات وعدم استمراريتها:

تتميز العلاقات التي تُنسج في فضاء الواقع الافتراضي بأنها سطحية، ومؤقتة، ينتجها تفاعل غير مباشر وغير دائم بين الفاعلين. حيث يؤدي الانخراط في هذا العالم إلى مزيد من انغماس الذات في فردانيتها وانفصالها عن الواقع الفعلي من جهة، ومن جهة أخرى إلى تبلور هذه الهويات الفردية في هويات افتراضية هي الشبكات والمجموعات الافتراضية والتي يسميها "بودريارد" بالهوية المفرطة.

إن هذه العلاقات غير قادرة على إنتاج مقومات حياة اجتماعية مستقرة، لافتقادها للأسس المشتركة التي تتأسس عليها، والتي يجتمع حولها الأفراد والجماعات الاجتماعية، كما أن الاتصال الذي يوفره الواقع الافتراضي هو اتصال غير مباشر في عالم غير فعلي، تحكمه حواجز تفصل الفاعلين المتواصلين عن بعضهم البعض، والذين قد يتواصلون بهويات وهمية غير حقيقية، وهو ما يجعل هذا النوع من الاتصال عاجزا عن انشاء علاقات ولاء، انتماء والتزام على غرار الاتصال المباشر وغير المباشر الذي يتم في الواقع الفعلي.

إن علاقات كهذه لا تجذب اهتمام علم الاجتماع الذي يتمحور حول دراسة الجماعات الاجتماعية الدائمة، والتي يميز بينها وبين أشكال التجمع الإنساني الأخرى كالحشد، التجمع، الجمهور... إلخ، ومعيار التمييز هنا يكمن في قوة العلاقة وكثافة التفاعل بين أعضاء الجماعة الواحدة، استقرارها، ديمومتها وقدرتها على خلق نوع من النظام والثبات من خلال انتاجها لمجموعة من القواعد التي تحكم سلوكيات الأفراد وتوجهها.

ولهذا تعتبر العلاقات السطحية والمؤقتة غير مؤثرة في إنتاج الحياة الاجتماعية، ويتم استبعادها وإحالة دراستها إلى فروع أخرى في علم الاجتماع كالسلوك الجمعي، وتصنيفها في مكانة ثانوية بالنسبة للدراسات السوسيولوجية.

3. الواقع الافتراضي، موضوعا لعلم الاجتماع؟

إن هذه المواصفات . المذكورة أعلاه . التي تميز ظواهر الواقع الافتراضي تختلف عن مفهوم الظاهرة الاجتماعية ومواصفاتها بالمفهوم الكلاسيكي . تلك الظاهرة التي ينتجها فاعلون اجتماعيون حقيقيون، يتفاعلون في عالم فعلي . وهذا الاختلاف يجعل ظواهر الواقع الافتراضي تفلت من قبضة التناول السوسيولوجي لها. غير أن ذلك لا ينفي التأثيرات الاجتماعية لهذه الظواهر والتحويلات التي أحدثتها على العلاقات الاجتماعية، وإعادة صياغتها لعلاقات جديدة،

والاجبار اللذان تمارسهما الظاهرة الاجتماعية على الأفراد، الذين يجدون أنفسهم يخضعون لها سواء بوعي أو بغير وعي منهم.

ويمكن اسقاط هذه البرهنة على ظواهر الواقع الافتراضي لإثبات وجودها وقدرتها على التأثير، هاتان الصفتان ستمنحان الواقع الافتراضي تأشيرة الدخول لحقل علم الاجتماع.

1.3 وجود الواقع الافتراضي:

إذا كان "بودريارد" يصف علاقة الواقع الافتراضي بالواقع الفعلي بأنها علاقة هيمنة للأول على الثاني، بشكل أفضى إلى موت الواقع "الفعلي" واستبداله بواقع مفروض أساسه الزيف والتخيل، فإن "جيل ديولوز" Gilles Deleuze " يخالفه الرأي، وإن يشترك معه في التشابك والتداخل الذي يميز الواقعيين، غير أن ذلك لا يعني صراعهما وتنافرهما بقدر ما يعني تكاملهما في علاقة منتجة، حيث يتصور الواقعيين على شكل دائرتين ملتصقتين على شكل الرقم 8، أي أنه لا يعارض الأشياء الواقعية بالأشياء الافتراضية، إنما يميزها عن بعضها البعض، ثم إنهما ليسا فقط متكاملين، إنما يتغذيان من بعضهما البعض¹⁶

وقد وضح "ديولوز" هذه العلاقة التفاعلية المتبادلة بين الواقعيين من خلال دراسته عن كيفية تكوّن الأنا في الهو، والتي تتم من خلال "توليفة سلبية للعلاقة تنقسم بدورها إلى توليفة نشطة أو توليفة اعتراف، والتي تعد دليلا على الواقع في علاقته الموضوعية، وتوليفة سلبية عميقة تأملية تهدف للوصول لشيء آخر"¹⁷

ويطبق "ديولوز" هذه الصيغة على الطفل الذي يتعلم المشي من خلال محاولته الوصول والاقتراب من أمه، وهذا يمثل التوليفة النشطة، حيث تمثل الأم موضوعا واقعيا، وهدفا ملموسا يسعى للوصول إليه، ولأن الأم لا يمكن الوصول إليها دوما، فإن الطفل ومن خلال عملية تعويض (مص الأصبع مثلا)، يشكل لنفسه أمّا افتراضية، إنها التوليفة السلبية: إذن تتشكل "أنا" الطفل من خلال سلسلة مزدوجة موضوعية واحدة تتعلق بالأشياء الحقيقية وأخرى متعلقة بالأشياء الافتراضية¹⁸، أي أن الواقع الفعلي هنا يحتاج للواقع الافتراضي ليتطور وينتج واقعا فعليا آخر. والواقع الافتراضي بدوره لا يمكنه التشكل دون الاستناد إلى الواقع الفعلي، وبذلك يذهب "ديولوز" إلى القول أنّ "الافتراضي كما يقول بروست Proust كحالات الصدى،

كالتحول في مفهوم الصداقة، تهميش علاقة الجيرة، وظهور ما يسمى بالجماعة الافتراضية... إلخ

كما تحول الواقع الافتراضي إلى فضاء للنقاش والتأثير في الرأي العام، وحلبة للتظاهر والاحتجاجات والثورات، ولا أدل على ذلك مما يعرف بثورات الربيع العربي حيث لعبت شبكات التواصل الاجتماعي دورا محوريا في تأجيج فتيلها، نظرا للطابع التحريري والمنحصر الذي يميزها، ذلك أن "شبكات التواصل العالمية تحرر النشاط الإنساني من إكراهات المادة، الفضاء والوقت وتفتح أمامه آفاقا جديدة، وبهذا المعنى يصبح الافتراضي أغنى من الواقعي، إنه واقع مفروض، حيث تصبح تكنولوجياته محرّرة لأنها تفتح الأبواب أمام كل فرص الواقع"¹⁵

إن هذا التأثير والفعل الذي يمارسه الواقع الافتراضي على الاجتماعي، يجلب الانتباه له ويسلط الضوء عليه، وي طرح التساؤل حول ماهيته وخصوصياته، آثاره وآليات فعله، ويعيد النقاش بخصوصه وحول قابليته للدراسة السوسولوجية، والمبررات الابستمولوجية التي يستند عليها لولوج الحقل السوسولوجي.

ابستمولوجيا، يمكن تبرير شرعية انتماء ظواهر الواقع الافتراضي للحقل السوسولوجي، أي كونه موضوعا لعلم الاجتماع، بالاستناد على الفكرة التي استخدمها دوركايم . في بدايات تأسيسه لهذا الحقل المعرفي . حين أراد أن يدلل على وجود موضوع لعلم الاجتماع ، والذي يعد (الموضوع) شرطا ضروريا يجب أن يتوفر في أي حقل معرفي علمي، كما يجب أن يكون مختلفا عن باقي مواضيع العلوم الأخرى، هذا بالإضافة إلى المنهج والنتائج كشروط ضرورية وتأسيسية لأي علم، وفي هذا الإطار حاول "دوركايم" التأسيس لعلم الاجتماع، من خلال إثباته:

وجود موضوع خاص بعلم الاجتماع، وهو الظاهرة الاجتماعية، هذا الموضوع يختلف عن موضوع أي علم آخر، خصوصا تلك العلوم المجاورة له والمتقاطعة معه كعلم النفس، حيث يؤكد "دوركايم" استحالة ارجاع الظاهرة الاجتماعية لعناصرها الأولية المكونة لها. أي الأفراد الذين يشكلون موضوعا لعلم النفس، واكتسابها بدل ذلك وجودا جديدا ومستقلا ومختلفا عن أولئك الذين شكلوها.

. قدرة الظاهرة الاجتماعية على التأثير، إذ لم يكتف " دوركايم" بإثبات وجود موضوع لعلم الاجتماع فقط، وإنما أراد إظهار فعله ونشاطه وبأنه ليس سلبيا جامدا، يظهر ذلك من خلال الإكراه

المستوى الميكرو سوسولوجي، أي الأفراد المنتمين لتلك الجماعات، حيث أصبحوا يشكلون ما بات يعرف بالجماعة الافتراضية التي يعرفها هوارد رينغولد Howard Rheingold " تجمع سوسيو ثقافي ينشأ عن شبكة علاقات، حيث يشارك عدد كاف من الأفراد في المناقشات العامة لمدة معينة بشكل يكفي لبث روح في شبكة العلاقات الإنسانية التي تنتج في الفضاء الإلكتروني"²²، وتتفاعل هذه الجماعات وتتداخل فيما بينها مشكلة شبكات تسمح بعقد صفقات، مناقشة الأفكار، إقامة صداقات...إلخ، كما أن " أعضاء هذه الجماعات يفعلون في الفضاء الإلكتروني ما يفعلونه في الواقع، فقط هي تلك الأجساد المادية التي يتكونها ورائهم"²³.

إن التداخل وطابع الشبكات الذي يميز هذه الجماعات الافتراضية، يجعلها تمارس تأثيرا على الأفراد المكونين لها، من منظور علم الاجتماع الشكلي أو الصوري لدى " جورج زيمل George Simmel الذي يؤكد أن أشكال البنى الاجتماعية الناتجة عن التفاعلات الفردية تسلط بعض الاكراهات الشكلانية، حيث " يمارس شكل الشبكة تأثيرا على الموارد التي يمكن للفرد تعبئتها، وعلى الاكراهات التي يخضع لها، ولا يحدد هذا الأمر بالنسبة له، ولكنه يوضح أن بعض السلوكات وبعض الاستراتيجيات تكون . بسبب الوضع الذي يشغله . أكثر احتمالا من غيرها"²⁴، أي أن شكل الشبكة الناتج عن التفاعلات الفردية، وموقع الفاعل الاجتماعي فيها يزوده برأسمال يتوافق مع مكانته فيها، ويفرض عليه شكلا من السلوك " فالشبكات الضيقة أو المغلقة مثلا والتي يكون عامل التنسيق فيها ضروريا، يكون الفرد فيها مزودا برأسمال اجتماعي أكبر من تلك الشبكات التي تكون المنافسة فيها مفتوحة وشديدة"²⁵، وانطلاقا منها يمكن للفرد انتاج سلوكات واعداد استراتيجيات تتوافق مع الرأسمال الذي يمتلكه.

ويمتد التأثير الذي يمارسه الواقع الافتراضي إلى البعد النفسي الملموس، فالعلاقات السطحية التي تحتل مكانة ثانوية في اهتمامات الباحثين السوسولوجيين، الذين يعتبرونها غير مؤثرة في بناء حياة اجتماعية دائمة ومستقرة بسبب قلة تفاعلاتها وسطحيها، أصبحت تلعب دورا مهما في حياة الفرد، لدرجة تفوقت فيها على علاقات الواقع الفعلي، حيث " تزداد باستمرار استشارة قواعد المعلومات الطبية والقانونية على الانترنت، لدرجة أنه أصبح بإمكان الأفراد التشكيك في تشخيص أو رأي قدمه إنسان محترف قريب جغرافيا"²⁶، والوثوق في الآراء المستمدة من الواقع الافتراضي.

ويذهب " مارك غرانوفيتز Mark Granovetter إلى أبعد من ذلك، ففي دراسة له بعنوان " قوة الروابط الضعيفة" أكد على أهمية هذا النوع من العلاقات الاجتماعية وفائدتها للفرد، حيث أثبت أن " الروابط الضعيفة بعيدة عن خلق حالة من الاغتراب . كما يمكن

حقيقي بدون أن يكون فعليا، مثالي دون أن يكون تجريديا، رمزي دون أن يكون تخيليا"¹⁹

أما " بيير ليفي Pierre Levy يرى أن الافتراضي والفعلي يشكلان واقعين منفصلين، إذ " لا يتعارض الافتراضي من الناحية الفلسفية مع الحقيقي، ولكنه يتعارض مع الفعلي: ما الافتراضية والفعلية إلا طريقتي وجود مختلفتين"²⁰، فالافتراضي واقع موجود وحقيقي، إنه لا يعني التوجه نحو الوهم والعدم، بل إنه شكل آخر للوجود ذو علاقة مختلفة بالزمان، ويرتبط بمسار تطور المجتمعات الإنسانية، فمثلا غيرت وسائل النقل . المتطورة على مدى العصور . العلاقة بالزمان بأن قلبتها واختصرتها، كذلك نقلت المعلوماتية المجتمعات إلى مستوى آخر للوجود ألغت فيه الزمان نهائيا*

يثبت كل من " جيل ديلوز" و" بيير ليفي" إذن . كل على طريقته . وجود الواقع الافتراضي، وينفيان عنه الطابع الوهمي، التخيلي التجريدي الذي يشكل عائقا أمام الدراسة السوسولوجية له، وفي الحقيقة أن هذه ليست خاصية الواقع الافتراضي فحسب، لكن الأمر ينطبق على جميع الجماعات الاجتماعية الكبرى حيث تسود العلاقات الثانوية غير المباشرة كالأمة، الطبقة...إلخ

ويتعدى الأمر إلى موضوع علم الاجتماع . المجتمع ، الجماعة الاجتماعية . التي تعد بدورها كيانا متخيلا، لأن الأفراد وحدهم فقط يتمتعون بوجود فعلي، حيث يمكن رؤيتهم، لمسهم، التحدث إليهم، أما الجماعة فهي متخيلة، فنحن في الواقع الفعلي نرى عددا من الأفراد لكن لا نرى الجماعة. غير أن القول أنها " متخيلة لا يعني أنها خيالية، كما يؤكد دانيال دايان ، أي كونها متخيلة وأن نشأتها انطلقت من فكرة خيالية لا يعني عدم إمكانية تحولها إلى واقع"²¹ ولا يعني ذلك أيضا عدم قدرتها على انتاج آثار في الواقع.

2.3 قدرة الواقع الافتراضي على التأثير:

إن إبراز قدرة الواقع الافتراضي على الفعل والتأثير، تؤكد على واقعيته ووجوده، وتمنحه شرعية الانتماء إلى حقل الدراسة السوسولوجية، فالواقع يستدل عليه بالآثار التي ينتجها وقوة الفعل التي يمارسها على الأطراف المتفاعلة معه أي بالإكراه الذي يفرضه هذا الواقع ، وفي الحقيقة فإن هذا التأثير لا يقتصر على المستوى الماكرو سوسولوجي فقط ، والذي يتجسد في تحولات الجماعات الاجتماعية سواء في تركيبها أو في العلاقات التي تنتجها، إنما يمتد إلى

نظرية لدراسة هذا الواقع الجديد، بظواهره الجديدة، بمواصفاتها المستجدة، مقاربات تكون وفيه لهوية النظرية السوسولوجية، متموقعة ضمن حدودها الاستمولوجية، وفي نفس الوقت قادرة على قراءة ظواهر الواقع الجديد.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. بودريارد، جون. (2008). المصطنع والاصطناع، ترجمة جوزيف عبد الله. ط1. بيروت، المنظمة العربية للترجمة
2. بونيه، آلان (1993)، الذكاء الاصطناعي، واقعه ومستقبله، ترجمة علي صبري فرغلي، الكويت، عالم المعرفة 172
3. الروبوتات تستخدم الانترنت أكثر من البشر، أك www.tech-wd.com/2017/02/08
4. ليفي، بيير. (2018). علمنا الافتراضي، ما هو وما علاقته بالواقع، ترجمة رياض كحال. ط1. المنامة. هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة.
5. يفوت، سالم. (1986). فلسفة العلم المعاصرة، مفهومها وعلاقتها بالواقع. ط1. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر

المراجع باللغة الأجنبية:

- 6-Forsé, Michel Définir et analyser les réseaux sociaux, www.cairn.info/revue-informations--sociales-2008-3-page-10.htm
- 7 -Granovetter, Mark, The strength of weak ties, sociological theory, vol 1989, pp 201-233, <http://www.jstor.org/stable/22051>
- 8-Hamel, Jacques. (1997).Précis d'épistémologie de la sociologie. Paris-Montréal, L'Harmattan
- 9- NOËL, Dominique. Le virtuel selon Deleuze, in intellectica. Revue de l'Association pour la recherche cognitive, n 45, 2007/1. Virtuel et

استنتاجه من مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري، خصوصا أعمال "لويس ويرث". ففي الواقع إن هذه الروابط تعد حيوية لإدماج الفرد في المجتمع الحديث²⁷، وذلك بتقديمها لخدمات ذات فائدة للفرد، كالحصول على منصب عمل، والذي وجد "غرانوفيتز" أنه يتم من خلال استخدام واحد من الأساليب التالية:

. من خلال إعلانات الوظائف

. التوظيف المباشر

. استخدام المعارف الشخصية

وحين ركز على أصحاب الفئة الثالثة سجل أن " المهنيين والتقنيين والاطارات الذين يمتلكون علاقات ضعيفة تتميز باتصالات متكررة نوعا ما في الوقت الذي تم فيه الإعلان عن العمل الجديد، كانت لديهم فرصة أكثر للعلم بهذه الوظائف الجديدة وذلك بنسبة 27,8 % مقارنة بأولئك الذين حصلوا على العمل باستخدام الروابط القوية و الذين قدرت نسبتهم بـ 16,7 %²⁸، أي أنه كلما كانت دائرة المعارف تتكون من الأشخاص المقربين، تكون فرصة الحصول على عمل أقل "لأن المعلومات التي يختص بها الأصدقاء المقربون هي نفسها التي تكون لدينا"²⁹، في حين يختلف الأمر في حالة العلاقات الضعيفة التي لها دور خاص في زيادة فرص الفرد للحراك المهني، إذ أن هناك حظوظا أكثر لمن يملك روابط ضعيفة للحصول على المعلومة، فالمعارف مقارنة بالأصدقاء المقربين، أكثر عرضة للتحرك في دوائر مختلفة عن تلك التي يمتلكها الأصدقاء³⁰، حيث يكون أولئك الأشخاص الذين تربطنا بهم علاقة سطحية على علاقة بأشخاص آخرين لا نعرفهم، ويمكنهم الوصول إلى مصادر معلومات ليست في متناولنا، فالروابط الضعيفة تكون بذلك غنية بالمعلومات أكثر من الروابط القوية، وهو ما يجعلها ذات فائدة وذات تأثير في حياة الأفراد.

من خلال ما سبق نستنتج أن الواقع الافتراضي هو واقع موجود ومؤثر، لكنه يختلف عن الواقع الفعلي وهو ما يجعل ظواهره مختلفة عن الظاهرة الاجتماعية بمفهومها الكلاسيكي، وبرغم هذا الاختلاف فهي تندرج ضمن انشغالات علم الاجتماع بفعل التأثيرات التي تمارسها والأدوار التي تلعبها في الحياة الاجتماعية، وما هذه الاختلافات التي تميزها إلا انعكاسا لعمق التحولات التي تشهدها المجتمعات، ولشكل البنى الناتجة عنها. لذلك على علم الاجتماع أن يستجيب لهذه المستجدات ويتكيف معها، من خلال إعادة النظر في المبادئ والمسلّمات الاستمولوجية التي يقوم عليها، والتي تجعله قاصرا عن مساءلة الظواهر الجديدة، وذلك بمحاولة إنتاج مقاربات

11-Trepos, Jean Yves. La sociologie post moderne est-elle introuvable ? <https://journals.openedition.org/leportique/346>

Cognition.p109127,doi:https://doi.org/10/3406/intel/2007/1269.http://www.persee.fr/doc/intel_0796-4113_2007_num45_1269

10-Proulx, Serge, Latzto Toth, Guillaume. La virtualité comme catégorie pour penser le social, *Sociologie et Société*, vol 32, n 2, 2000, pp 99, 122, p99, id.erudit.org/iderudit/00159ar

¹⁶ - NOËL, Dominique. Le virtuel selon Deleuze, in *intellectica. Revue de l'Association pour la recherche cognitive*, n 45, 2007/1. Virtuel et Cognition. Pp109-127, doi :https://doi.org/10/3406/intel/2007/1269 , https://www.persee.fr/doc/intel_0796-4113_2007_num45_1_1269

¹⁷ - Deleuze, Gilles. (1968). *Différence et Répétition*. Paris. Presse Universitaire de France, p32, in, NOËL, Domoinique, opcit, p109

¹⁸ - NOËL, Dominique, opcit, p 110

¹⁹ - Deleuze, Gilles. (1968). opcit, p270, in, NOËL, Domoinique, opcit 112

²⁰ ليفي، بيير. (2018). *عالمنا الافتراضي، ما هو وما علاقته بالواقع*. ترجمة رياض كحال. ط1. المنامة. هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، ص 15 لمزيد من التفصيل انظر ليفي، بيير (2018). مرجع سبق ذكره، ص 23. 26.*

²¹ - Proulx, Serge, Latzto Toth, Guillaume., opcit, p112

²² - نفس المرجع السابق، ص 105

²³ - نفس المرجع السابق، ص 105

²⁴ - Forsé, Michel Définir et analyser les réseaux sociaux , www.cairn.info/revue-informations--sociales-2008-3-page-10.htm, p 11

²⁵ - نفس المرجع السابق، ص 108

²⁶ - ليفي، بيير. (2018) ، مرجع سابق، ص 74

²⁷ - Granovetter, Mark, The strength of weak ties, *sociological theory*, vol. 1 , 1989, pp 201-233, <http://www.jstor.org/stable/22051>, p203

²⁸ - نفس المرجع السابق، ص 205

²⁹ - نفس المرجع السابق، ص 205

³⁰ - نفس المرجع السابق، ص 205

هوامش:

¹ - Preloux, Serge., & Latzko-Toth, Guillaume. (2000). La virtualité comme catégorie pour penser le social: L'usage de la notion de communauté virtuelle. *sociologie et société*, 32(2), pp. p.99-122. Récupéré sur <http://id.erudit.org/iderudit/00159ar>, p99

² - نفس المرجع السابق، ص 104

³ - بودريارد، جون. (2008). *المصطنع والاصطناع*. ترجمة جوزيف عبد الله. ط1. بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص 47.

⁴ - نفس المرجع السابق، ص 48

⁵ - نفس المرجع السابق، ص 47

⁶ - نفس المرجع السابق، ص 61

⁷ - يفوت، سالم. (1986). *فلسفة العلم المعاصرة، مفاهيمها وعلاقتها بالواقع*. ط1. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 82

⁸ - نفس المرجع السابق، ص 06

⁹ - نفس المرجع السابق، ص 31

¹⁰ - Hamel, Jacques. (1997). *Précis d'épistémologie de la sociologie*. Paris- Montréal, L'Harmattan, p16

¹¹ - نفس المرجع السابق، ص 43

¹² - بودريارد، جون، مرجع سبق ذكره، ص 199

¹³ - الروبوتات تستخدم الانترنت أكثر من البشر. أك- www.tech-wd.com/2017/02/08

¹⁴ - بونيه، آلان (1993)، *الذكاء الاصطناعي، واقعه ومستقبله*. ترجمة علي - صبري فرغلي، الكويت، عالم المعرفة 172، ص 5

¹⁵ - Proulx, Serge, Latzto Toth, Guillaume., opcit , p103